

سعيد والطبعة

المغرب - عدد خاص بذكرى الأربعين -

السنة السادسة - العدد 937 - الأربعاء 6 ربيع الآخر عام 1361 الموافق 29 أبريل سنة

1942

عمر النجار - سلا

عرفت سعيدا رحمه الله كما يعرفه الناس بصحيفته الغراء، عرفته بكلماته التي لا تحفل بموضوع غير المغرب والمغاربة، فكان إذ ذاك المثل الأعلى للوطني المخلص الذي يعمل لفائدة وطنه وأمته، حينذاك كنت لا أزال بالمكتب ودائما أفكر في الانخراط مع هذا الرجل في الطبعة لما علمت من أن فن الطبعة يوصل الإنسان إلى درجة عالية في المطالعة ويجعله على خبرة بالأسلوب الصحفي في الكتابة، فقصدته في إدارته فقابلني أحسن اقتبال ولسان الحال يقول إذ ذاك:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

فلقيته على ما وهبه الله من الأخلاق الكريمة والفكر الحر والقلب الشريف والتواضع والوقار، فتماديت معه على ذلك هذه مدة تتجاوز ثلاث سنوات، فما سمعت منه أبدا ما يأخذ بخاطري ولا ما يقلق نفسي، فكان يأتي للمطبعة متحملا بتلك الابتسامه التي لم تفارقه حتى لقي ربه راضيا مرضيا، فيأخذ بيد العملة على اختلاف طبقاتهم، ويحدثهم بما يسليهم، فيزدادون بذلك نشاطا في خدمته ووثوقا به، فهو صديق بمواساته ومبالاته، وأخ بشفقتة ومحبتة، وأب بعطفه وحنانه.

وكان رحمه الله شديد الثقة بنفسه، واسع الآمال، طموحا للعلی، مستقل الفكر، صريح القول، نزيه النفس، طاهر القلب، كثير التفكير، قليل الكلام، قضى زهرة شبابه وهو لن يتعاطى مطالب الحياة وملاذ الشباب، فلم يتزوج ولا جلس لشرب أو لهو ولا التفت إلى جمال أو طرب؛ لا يلذ له غير التفكير في الغاية التي وقف قواه عليها، وهي خدمة بلاده وأتمه بأشرف السبل وأنفعها.

وقد كان يامل أن يجعل معملا كبيرا للطباعة يضم أزيد من مائة عامل، فلو مد الله في حياته لرأينا ثمار تلك الآمال الموفقة.

فقدناك يا سعيد فقدنا بفقدك كل شيء، فقدناك يا خادم الوطن المخلص، فقدناك يا زعيم الصحافة المغربية، فليت شعري أين هو ذلك النور الذي كان ينتشر علينا في المطبعة فتمشي على ضيائه، ومن الذي يسلينا اليوم بتلك الابتسامة الحلوة اللذيذة ويقابلنا بذلك الصدر الرحب الذي لا يخفي حقا؛ فقد ثكلت بموتك المطبعة، كما يتمت « المغرب » و « الثقافة » وإنهم رغم هذا سيسيرون على منهاج خطتك المنشودة غير أنهم مطعونون برمح في فؤادهم.

إن المصيبة فيك مصيبة الوطن يا من أنفقت عمرك في خدمته، فلا بدع أن تبكيك العيون، ولا غرو أن تنفطر لفقدك القلوب؛ لقد عشت سعيدا مفيدا وقضيت حميدا فقيدا، وإن كان عموم الأسف وشمول الحزن مما يبرد ثرى ويجلب غفرانا. جاءتك سحب الرضوان والغفران مسوقة إلى ثراك من كل مكان، مستمطرة على روحك بكل لسان.

نم سعيدا يا من قضيت فقيدا بجليل ما قدمت بين يديك
أنت أحسنت في الحياة إلينا أحسن الله في المات إليك